قراءة النَّص القرآني فِي ضوء المنهج العقلي بين الرؤية الإسلامية والرؤية الاستشراقية: دراسة مقارنة.

د. هيثم عبد الرحمن عبد القادر علي عوض*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه...، أما بعد، فإن الأمر الذي لا شك فيه، أن دراساتنا الشرعية (خاصة المتعلقة بالتفسير القرآني)، قد أصبحت في أمس الحاجة إلى شيء غير قليل من التجديد الذي يهدف إلى قراءة القرآن قراءة واعية تجيب عن كل التحديات التي يشهدها العالم بأسره، غير أن هناك حقيقة مهمة لابد وأن تصاحبنا في أي قراءة، ألا وهي أن قراءة النص القرآني لابد أن ترتكز على الأرض الصلبة التي تتمثل في القواعد المنهجية والضوابط الشرعية اللازمة، وعليه فإن أي دعوة إلى قراءة النص القرآني في ضوء أي منهج لا تنطلق من هذا المنطلق لن تكون أكثر من دعوة مشبوهة محكوم عليها بالزوال، مثلها مثل القراءات التي شاعت حيناً من الدهر، مستهدفة النيل من قداسة النص القرآني؛ لذلك اخترت هذا الموضوع لتبيين عديد من الحقائق المتعلقة به، وجعلته بعنوان: "قراءة النص القرآني في ضوء المنهج العقلي بين الرؤية الاستشراقية والإسلامية: دراسة مقارنة".

ولإتمام هذه الورقة البحثية كان لزامًا على الباحث أن يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، وكذلك المنهج المقارن: الذي يعتمد على مقارنة موضوع الدراسة، مع الاعتماد على المنهج النقدي في رد التصورات الاستشراقية المتعلقة بقراءة القرآن الكريم في ضوء هذا المنهج، ويأتي هذا البحث وفق التقسيم التالي:

التمهيد: التعريف بأهم المصطلحات الواردة.

المبحث الأول: الرؤية الإسلامية لاستخدام المنهج العقلي في قراءة النص القرآني.

المبحث الثاني: الرؤية الاستشراقية لاستخدام المنهج العقلي في قراءة النص القرآني.

الخاتمة: أولاً: النتائج. ثانيًا: التوصيات.

الفهارس.

---

* أستاذ الأديان والمذاهب، بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة/ جامعة الأزهر الشريف. Dr.hytham2020@gmail.com

التمهيد:

فيه سَنُلِمُّ ببعض مصطلحات عنوان هذه الدراسة التي يكون عليها مدارُها، مُعْرِضين عن التعريج على ما بان معناه منها مما هو معروف.

قراءة النص القرآني: اختلفت عبارات الباحثين لظاهرة قراءة النص القرآني في تعريف معنى القراءة المراد هنا، فقيل: إن المقصود بها: (استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم)(1)، ذلك أنه من لوازم الأخذ بـ: (القراءة "منهجًا لفهم القرآن" المعرفة والاطلاع على المذاهب الحديثة في البحث والدراسة والنقد)(2).

• **المنهج العقلي:** المناهج جمع منهج، وهو: الطريق الواضح، والظاهر، والمستقيم(3)، ويعرف علم المناهج بأنه: (العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة)(4)، أما المنهج العقلي: فهو المنهج الذي يعتمد العقل في قراءته للنص القرآني، وكان منسجمًا معه، متفقًا مع نتائجه، تَقبَله النفس عن قناعة بِحَقِّيَّتِهِ، لاعتماده على مسلمات العقول، وأوليات البدائه(5).

• **الاستشراق:** يعد الاستشراق وما يتعلق به "مستشرق" من التسميات الحديثة التي أطلقت وأريد بها: (مجموع الدراسات التي يقوم بها أهل الغرب عن الشرق: دياناته، وأعراقه، وثقافاته)(6)، وخلاصة القول في معنى الاستشراق هو: طلب علوم الشرق وآدابه، والمستشرقون هم قوم من غير الشرقيين، أو هم الغربيون الذين درسوا الشرق من كافة جوانبه، علومه، تاريخه، أديانه، شعوبه، لغاته.

---

(1) القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، لمحمد محمود كالو، ص 56، ط1، 2009م، دار اليمان.

(2) قضية قراءة النص القرآني، لعبد الرزاق هرماس، ص 4.

(3) ينظر: مادة "نهج"، لسان العرب، لابن منظور، ج6، ص4554، دار المعارف، مصر.

(4) مناهج البحث في العلوم الإنسانية، لمصطفى حلمي، ص17، ط1، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(5) هذا التعريف محكي عن أبي القاسم النيسابوري وابن سينا، راجع: الغنية في الكلام، لأبي القاسم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى حسنين عبد الهادي، (94/1 وما بعدها)، دار السلام، القاهرة – مصر، وانظر: الحدود لابن سينا، (243/1)، ط1989م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

(6) الاستشراق، لإدوارد سعيد، ترجمة صبحي حديدي، ص38، ط1، 1996م، دار الفارس، القاهرة ـ

"المبحث الأول":

الرؤية الإسلامية لاستخدام المنهج العقلي في قراءة النص الشرعي:

لقد كان من أبرز معالم التفسير التي بينَّها علماؤنا الأقدمون، ما اصطلحوا على تسميته: "التفسير بالرأي"، ومراده أن يقوم المفسر بإعمال عقله في فهم القرآن، والاستنباط منه، مستخدمًا آلات الاجتهاد، ويرد للرأي مصطلحات مرادفة في التفسير، وذلك مثل: التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي، ومصدر الرأي العقل، ولذا جُعِلَ التفسير العقلي مرادفًا للتفسير بالرأي، بيد أنهم قد وضعوا له من الضوابط العلمية والشروط المنهجية ما يساعد المفسر على عدم الانحراف في بيان المعنى دونما إهدار للنص أو إهدار للقراءة، وفي هذا الإطار نشير إلى تلك النقاط التالية:

أولاً: الاهتمامات الإسلامية بالمنهج العقلي.

ثانيًا: الضوابط المنهجية لقراء النص القرآني في ضوء المنهج العقلي.

ثالثًا: نماذج تطبيقية للمنهج العقلي الإسلامي في قراءة النص الشرعي.

أولاً: الاهتمامات الإسلامية بالمنهج العقلي:

لقد ميز الله الإنسان عن غيره من المخلوقات بالعديد من الخصائص والمميزات، وجعل العقل على رأس تلك الميزات، فأطلق الإسلام للعقل عنانه، وحرره من أسر عقاله وأغلاله، وطالبه بالنظر والتدبر والتفكير بعيدًا عن سطوة العادات والتقاليد والأهواء والميول، وبنى عليه الأحكام والتكليفات حيث شرفه الله تعالى بالخطاب، وجعله مناط التكليف، وحرر العقل من القيود، أما الأشخاص الذين يقولون حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فقد هز كيانهم علهم يرشدون، أو يهتدون، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(1)، ولذلك فقد تحامل الإسلام على الذين يعطلون عقولهم، ويهملون استخدام تفكيرهم، ليلقي باللائمة عليهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(2)، وقال جل شأنه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا

(1) سورة المائدة، آية: (104).

(2) سورة الأنفال، آية: (22).

يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾(1)، وفي هذا الصدد حثَّ القرآن كل مفكر وطالب للحقيقة بأن يقدم بين يدي حديثه الدليل والبرهان، وذلك تقديرًا للأدلة، وإظهارًا لشرف العقل، وأن الإنسان ليس مسلوب الإرادة، ومسلوب الشخصية، فهو سبحانه قد شرف العقل بالخطاب، وجعله مناط المسئولية؛ كي ينظر، ويتدبر، ويعمل بعيدًا عن سطوة العادات والتقاليد والأهواء والميول، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾(2)، وعليه فإن الإسلام لم يحجر على العقل، ولا على التفكير، ولم يحبس ضياء العقول، بل تركها تعمل بعد أن رسم لها طريق النور والاستقامة، وأوضح لها الطريق الذي يجب أن تسير فيها، والسبل التي ينبغي عليها أن تنأى بالإنسان عنها، كما عرفها بأنها مهما بلغت من السعة والعلم والإدراك فإنه قليل، لذلك دعا الإنسان إلى الاستزادة فقال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(3)، وقد تأثر المسلمون أيما تأثر بهذه الدعوات الربانية التي تنادي بإعمال المنهج العقلي في الكثير من أمورهم، حتى الأمور الدينية، إذ لم يأخذوها اعتباطًا دونما تفكير، وفي سبيل ذلك حاولوا التوفيق بين العقل وأمور الدين، فما وافق الفطرة والعقل السليم سلموا به وأخذوه، وما خالف العقل توقفوا عنده وسلموا لما ورد في التّشريع الحكيم، من آيات القرآن الكريم أو السّنّة النّبويّة المطهّرة، وجعلوا القرآن والسّنّة مصدرين أصيلين في استمداد الأحكام والغايات من التّشريع، واستقرّوا على أنّ ما وافق القرآن الكريم والسّنة عملوا به، وما خالف ذلك تركوه، وذلك لأنّ العقل الإنساني لم يدرك بعد شيئًا من حقائق العناصر المبسطة، وكلما أوغل في الجري وراء حقيقتها انقلبت أمامه إلى مركبات فيتضاعف جهلُه بها، وبعد أن كان أمام عنصر

(1) سورة البقرة، آية:(171).

(2) سورة البقرة، آية:(164).

(3) سورة الإسراء، آية:(85).

واحد يجد في البحث عن حقيقته يصبح عنصرين أو أكثر، وعندها يتحتم عليها أن يبحث عن حقائقها من جديد[1].

جدير بالذكر: أنه بات من القواعد المقررة في دين الإسلام، أن العقل الصريح لا يخالف النص الشرعي الصحيح، والمعقول الصحيح دائر مع أخبار الشريعة وجودًا وعدمًا، ومن هنا يمكننا دفع التوهم المزعوم بين العقل والقرآن، فنقول: إن العقل عطية كبرى، ونعمة عظمى من نعم الله -سبحانه وتعالى- ، به يعرف الإنسان الفرق بين النافع والضار، وبه يستطيع التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، قيل في بيان فضله: (وإن محبة المرء المكارم وكراهته سفاسفها هو نفس العقل، فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله)[2]. وبلغ من قيمته في الإسلام أن جعله إحدى الضرورات الخمس، التي أمر الشارع بحفظها ورعايتها؛ لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها، ولهذا فقد اهتم الإسلام بالعقل اهتمامًا بالغًا، إذ جعله مناط التكليف، فإذا فُقد ارتفع التكليف، كما جاء في الحديث عن "عائشة" -أم المؤمنين رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ، قال: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثلاث: عن الصَّبِي حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ"[3].

إن المقام ليضيق بنا جدًا، لو رحنا نرصد كل ما في القرآن الكريم من نصوص في هذا الشأن، لذلك نكتفي بهذه الملامح من الآيات الكريمة: قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[4]، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[5]، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ

---

(1) الفكر الإسلامي، مبادئه، مناهجه، قيمه، لمحمد الصادق عفيفي، ص227، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر.

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي، تح: محمد حامد الفقي، ص16، ط1، د.ت، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة ـ مصر.

(3) أخرجه أحمد، ج1، ص118، والترمذي، ج4، ص42، كتاب: الحدود، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، الحديث(1423)، والحاكم، ج4، ص389، كتاب: الحدود، باب: ذكر من رفع القلم عنهم، كلهم من رواية همام، عن قتادة، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(4) سورة الذاريات، آية: (21).

(5) سورة يونس، آية: (101).

أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

وبعامة: فإن القرآن الكريم بما حواه من آيات وكلمات، ليست فيه آية واحدة تحظر على الناس التفكير، أو تفرض قيودًا؛ لتحول بين العقول والتفكير؛ بل على العكس نجده حافلاً بالآيات والتوجيهات التي تحث -بلا توان- على التفكير في أسرار الكون وما فيها من أسرار وطاقات، والآفاق وما فيها من عجائب الآيات التي تدعو إلى التأمل الإجمالي في حقائق الموجودات، والآيات الأخرى التي تحض على التأمل التفصيلي في الكائنات، وتحث على العمل وتفجير الطاقات في عمارة الكون، والتمكن والاستفادة منه قدر الجهد والطاقة، حتى إنه ليمكن القول بأن أدب القرآن مؤسس على الدعوة إلى الإصلاح والعمل لخير المجتمع، وحرية العلم والفكر، فهما أسس النهضة الصحيحة .

وهكذا تميز النظرية الإسلامية في التأويل وإعادة قراءة القرآن عن مذاهب التأويل العبثي؛ ليقف الاجتهاد من هذه القضية موقفًا وسطًا، بين غلو تفريط أهل الاستشراق ومن تابعهم، الذين يعممون التأويل في النص القرآني مع انفلات تأويلاتهم وقراءاتهم لهذا النص من قواعد التفسير وثوابت المحكمات.

ثانيًا: الضوابط المنهجية لقراء النص القرآني في ضوء المنهج العقلي:

لقد أوجب الله على الناس تدبُّر القرآن الكريم، وإمعان النظر في آياته، وإطالة الوقفة أمامها، والتزود بالعلوم الضرورية من أجل تدقيق النظر، وتصويب الفهم؛ للوصول إلى صحة النتائج والدلالات التي يخرج بها من القرآن الكريم، خاصة في ظل تلك القضية - قراءة النص القرآني - التي لاكها المستشرقون والمستغربون مرارًا وتكرارًا، ومن هنا فقد كان من الضروري لكي تحقق دراسة جديدة، وقراءة صحيحة، أن يكون الدارس قبل

---

(1) سورة الأعراف، آية: (185).

(2) سورة الرعد، آية: (3-4).

كل شيء على معرفة سليمة بالضوابط المنهجية التي تكفل له سلامة التعامل مع النص القرآني، لفهمه واستنباطه في ضوء العصر، وهذه الضوابط نشير إليها على النحو التالي:

- **الضابط الأول: مراعاة الخصائص اللازمة للنص القرآني:**

وهو من أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع النص القرآني، ذلك أن للقرآن الكريم خصائصه المميزة، فهو كتاب الله – تعالى- الخاتم، والذي يتضمن كلماته وتشريعاته التي أنزلها على خاتم أنبيائه ورسله محمدًا ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام لذلك فهو كتاب له صبغته الإلهية التي تمنع البشر من العبث به بالزيادة أو النقصان، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، فالقرآن الكريم بما ملكه من خصائص وسمات ربانية تحيا به العقول والقلوب، جعله الله دستورًا ينظم حياة الأفراد والشعوب؛ لذا وجب على من ينظر إليه أن ينظر إليه بوصفه "كلام الله"، ومن أراد أن يفهمه أو يفسره فليتأهب له عقليًّا ونفسيًّا، ذلك لأن الإنسان مهما بلغ من الإتقان في القراءة، فإنه مخلوق من مخلوقات الله يعتريه القصور والعجز والمحدودية بالزمان والمكان يحاول أن يفسر كلام الخالق، الواحد القهار، الذي لا يحد علمه حد، ولا تعجز مشيئته ولا قدرته شيء، وعليه فإن النظر إلى القرآن الكريم بوصفه منتجًا ثقافيًّا أو كتاب للنظريات العقلية، هو أساس الخلط والخبط الذي تسبب في انحراف البشرية تجاه القرآن الكريم.

- **الضابط الثاني: تقديم النص القرآني على العقل الإنساني:**

من أهم الضوابط التي ينبغي الالتزام بها عند التعامل مع النص القرآني، هو تقديم النص القرآني على العقل الإنساني، بحيث لا يطلق العنان للعقل في فهم القرآن، وأن يصبح حكمًا على النص، من دون الرجوع إلى السنة وإلى فهم السلف، فهم الذي عاصروا نزوله، وخبروا أحداثه، فإذا وجد في القرآن نصوص لا تدركها العقول،

---

(1) سورة النمل، آية: (6).

(2) سورة الشورى، آية: (52).

فالواجب على العقول تصديقها والتسليم لها، لا ردها وإنكارها[1]، وهنا تجدر الإشارة إلى أن وظيفة العقل ومكانته في النص الشرعي تكمن في:

- أن العقل دليل موصل إلى الله، ومقبل بصاحبه إلى الإيمان به، والخضوع تحت حكمه، وطاعة رسله.
- أن المحافظة على العقل من الضروريات، وإعماله جزء من أحكام الشريعة.
- أن العقل هو أداة فهم الشريعة، وفهم النص، الذي يتجلى في الأمور التالية:

أ- فهم النص المراد تجديد النظرة العقلية إليه فهمًا جيدًا.

ب- معرفة العلل والمصالح والحكم والمقاصد التي جاءت بها النصوص الشرعية.

ت- دفع ما يظهر من تعارض بين النصوص. ث- تنزيل النص على الواقع.

ج- معرفة درجة الحكم الشرعي. ح- البحث والسؤال عن الحكمة والغاية من التشريع.

- التسليم بالمجالات التي يمكن للعقل تجاوزها، وهي على النحو التالي:

أ- التسليم للغيبيات. ب- التسليم للأخبار الشرعية.

ت- التسليم للأوامر والنواهي الشرعية. ث- التسليم للأحكام التعبدية.

ج- رفض التسليم لأحد سوى الله.

ح - التسليم للمصالح والمفاسد والمعاني والحكم الشرعية[2].

فمن أراد الوصول فعليه أن يقيس العقل بالنص، ولا يقيس النص بالعقل فتحدث المخاصمة والمصادمة.

- **الضابط الثالث: الوقوف على مناسبات النزول والورود:**

مع تنوع الأهداف التي نزل بها القرآن الكريم من الرحمة والهداية والشفاء ... فإنّ الهدف الأسمى من ذلك كلّه، هو إصلاح الفرد والمجتمع، والتّوجيه نحو صراط الله المستقيم، وليس هناك من شكٍّ أنّ ثمّة جوانب في حياة النّاس قد اتّسمت بالانحراف والزّيغ والضّلال، والبُعد عن وحي الله وهدايته، وهو ما نتج عنه تحول الحياة الإنسانيّة في كثيرٍ من جوانبها إلى حياةٍ منحرفةٍ، فاختار الله لتلك الأوضاع المتردّية، منهجَ التّدرّج

(1) التجديد في الفكر الإسلامي، لعدنان محمد أمامة، ص69، ط1، 1424هـ، دار ابن الجوزي، الرياض ـ السعودية.

(2) التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، لفهد العجلان، ط1، ص 35، 1433هـ، مركز التأصيل- السعودية.

في التّشريع والأحكام، فكانت الآيات التي أنزلها لمعالجة ذلك الواقع، لذا فليس من المقبول أن يتوقف فهم المجتهد أو القاريء للنص على ذلك الحدث أو تلك الواقعة والمناسبة، وإنما ينبغي له أنْ يجعله متعديًا وغير متوقفٍ عند ذلك الحدث أو تلك المناسبة، على أن معرفة سبب النزول ومناسبات الورود يحصل بهما إيضاح المعنى وبيان المغزى، الأمر الذي يجعلنا ندرك أهمية الاطلاع على أسباب النّزول، ودوره في حسن فهم النص، وإدراك المراد الإلهي منه.

- **الضابط الرابع: التزام النظرة الموضوعية التكاملية في النَّصِّ الشَّرعيِّ:**

إذا كانت مراعاة الخصائص الذاتية للنص القرآني ذات أهمية كبرى، فإن الذي يتوجب على القارئ للنص القرآني عدم إغفاله، هو النظرة الموضوعية التكاملية الشمولية للآيات القرآنية التي ترد في قضية واحدة، بحيث لا يقبل ولا يتم النظر إلى جزء من تلك الآيات بعيدًا عن بقية الأجزاء؛ لأن كل نص منه يمثل جزءًا مكملاً للآخر، ومن هنا يتأكد على القارئ بضرورة جمع النص النصوص ذات الأهداف والموضوعات الواحدة أولاً، ثم يقوم بإعمال النظر فيها، بوصفها في حقيقتها نصًا واحدًا، يرمي الشارع الحكيم من ورائه إلى تحقيق مقصود من مقاصد التشريع، أو تقرير حكم من الأحكام.

إنه لا يخفى على باحث في علوم القرآن والتفسير ما لهذه النظرة الموضوعية التكاملية الشمولية من أهمية قصوى عند الاجتهاد في فهم النص القرآني، بحيث تعصمه من الزلل أو التعسف أو الخطأ في التأويل والقراءة، بل تجعل فهمه فهمًا موضوعيًا علميًا مركزًا، كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي بقوله: (إن القضية وإن اشتملت على جمل، فبعضها متعلق ببعض؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذلك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض..) [1].

---

(1) الموافقات، للشاطبي، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، ج4، ص266، ط1، 2003م، دار ابن عفان، دار ابن القيم، الرياض ـ السعودية.

- **الضابط الخامس: التزام التجرد والموضوعية في فهم النص الشرعي:**

كثير من المستشرقين يدخلون إلى دراسة الإسلام وعلومه وفي أذهانهم صورة مسبقة لا يرون غيرها، ولا يؤمنون إلا بها، إنها الصورة السيئة التي رسخها الرهبان والقساوسة في أذهانهم، وذلك مما يجعل الكثير من القراءات الاستشراقية موصومة بالانحراف لفقدانها شرط التجرد في فهم النص القرآني، ولذلك يتعين على القاريء للنص القرآني أن يلتزم بالتّجرّد، فيتخلّى عن جميع مقرّراته الماضية، وأفكاره المسبقة، ومواقفه المتعدّدة، ليتوجّه إلى النّصّ القرآني بعقليةٍ نزيهةٍ، تهدف للتوصّل إلى المراد الإلهي بغض النّظر أن يكون هذا المراد موافقًا لمقرّراته السّابقة، أو مخالفًا له، كما ينبغي له أن يكون موضوعيًا بمعنى أن يتجرّد من الذّاتية والتحيزات الفكرية السّابقة، فيستقيم منهجه، ويثمر اجتهاده حتى يتمكّن من التّوصل إلى المراد الإلهي من نصّه.

ثالثًا: تطبيقيات المفسرين للمنهج العقلي الإسلامي في قراءة النص الشرعي:

إذا كان الواقع النصي قد فتح الباب أمام العقل للتفكير والتدبر حتى في المجالات العقدية، فإن الواقع التاريخي في الإسلام إنما جاء معبرًا عن الاستجابات الحية لتوجيهات القرآن الكريم، وحثه على التفكير، والتأمل، والتدبر، ويكفينا أن نسوق مثالاً واحدًا، أمد فيه القرآن عقول علماء الإسلام بمادة التفكير الحر، وذلك المثال هو: "رؤية الله جل جلاله في الآخرة" فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى جوازها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، فقال "الشوكاني" بعد ذكره للآية الكريمة: (قال أنس بن مالك ﷺ: ((يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ بِلَا كَيْفِيَّةٍ وَلَا حَدٍّ مَحْدُودٍ وَلَا صِفَةٍ مَعْلُومَةٍ))[2]، وذكر "الطبري" في تفسيرها عن "الحسن البصري" في قوله: (وجوه يومئذ ناضرة)، قال: حسنة، (إلى ربها ناظرة)، قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضرع، وهي تنظر إلى الخالق[3]، ونقل عن الإمام "مالك بن أنس" أنه عندما سُئل عن معنى قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أتنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم،

(1) سورة القيامة، آية: (22-23).

(2) فتح القدير، للشوكاني، (409/5)، ط1، 1414هـ، دار ابن كثير، دمشق.

(3) جامع البيان في تفسير القرآن المسمى تفسير الطبري، لابن جرير الطبري، ج27، ص119، دار المعارف، القاهرة - مصر.

فقيل له: إن قومًا يقولون: تنظر ما عنده؟ قال: بل تنظر إليه نظرًا[1]، وعلى هذا استقر رأي أهل السنة والجماعة وتلقته الأمة بالقبول.

وفي الجانب الآخر ذهب بعض "المعتزلة" إلى نفيها، وهم بدورهم استدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2]، واستدلوا على مذهبهم من ثلاثة أوجه[3]:

(أ) عموم النفي في كل وقت من غير تخصيص؛ لأن لفظ الأبصار صيغة جمع دخل عليها الألف واللام، فهي تفيد العموم والاستغراق.

(ب) أنه تعالى تمدَّح بكونه لا يُرى، على زعمهم، وما كان عدمه مدحًا كان وجوده نقصًا يجب تنزيه الله عنه.

(ج) إن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، ولذلك يجريان في النفي والإثبات على حد واحد، وقد نفى الإدراك فتنفى الرؤية.

هذا فيما قابل أهلُ السنة هذه الوجوه بالاعتراض والرد، فردوا على الوجه الأول بقولهم: إن الآية الكريمة لا تفيد عموم النفي؛ بل تفيد نفي العموم، ونفي العموم يوجب ثبوت الخصوص، أي: أن تخصيص السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم في بعض أفراد المجموع، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، أي أنه لا تدركه جميع الأبصار، فوجب أنه يفيد أن بعض الأبصار تنظر إليه، كما ردوا بأن صيغة الجمع كما تُحْمل على الاستغراق، فقد تُحْمَل على المعهود السابق أيضًا، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يفيد أن الأبصار المعهودة في الدنيا لا تدركه، وأهل السنة والجماعة تقول بموجبه، فإن هذه الأبصار وهذه الأحداق ما دامت تبقى على هذه الصفات التي هي موصوفة بها في الدنيا فإنها لا تدرك الله تعالى، وإنما تدركُ الله تعالى إذا تبدلت صفاتها وتغيرت أحوالها وردوا على الوجه الثاني بقولهم: إن التمدح الذي تفيده الآية، يدل على أنه جائز الرؤية، فلو كان المراد بقوله تعالى: أنه لا يُرى بحال لم يكن في ذلك الحال مدح ولا كمال؛

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، ج3، ص601، دار طيبة، السعودية.

(2) سورة الأنعام، آية: (103).

(3) للنظر في الأدلة بتوسع ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تح: فيصل عون، ص233، ط1: 1998م، ط جامعة الكويت. ومتشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، ج1، ص255.

لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصِّرْف لا يُرى ولا تدركه الأبصار، والحق سبحانه وتعالى جلت قدرته يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه المعدوم، فحقيقة المراد هو إثبات الرؤية، ونفي الإحاطة، لأن نفي الإحاطة يفهم منه إثبات الرؤية(1).

وقد رد أهل السنة على الوجه الثالث بقولهم: إن هذا افتيات على اللغة، ومجرد دعوى لا ينهض عليها دليل، فالإدراك في اللغة يدور على معان، ليس منها مجرد الرؤية بالبصر، فالإدراك هو لحوق الشيء بالشيء، ووصوله إليه، فقال العلماء بأن الإدراك يعني الإحاطة، وهو قدر زائد على الرؤية، وفي ذلك قال ابن حزم: (واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، قال أبو محمد: وهذا لا صحة لهم فيه، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، فالإدراك منتف عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، لأن في الإدراك معنى من الإحاطة ليس في الرؤية، برهان ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾(2)، ففرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فرقًا جليًّا، لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾، وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضًا، فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الإدراك بقول موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل، ولم يدركوهم، ولا شك أن ما نفاه الله عز وجل غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية)(3).

ومن خلال هذا السجال الحاصل بين أهل السنة والمعتزلة في قضية الرؤية يمكن القول والتأكيد على أن القرآن الكريم قد أطلق العقول من عقالها نظريًّا وعمليًّا، حتى في المسائل التي تتعلق بالعقائد الدينية المتعلقة بالذات الإلهية، وما يتعلق بقضية أفعال العباد، وهل الإنسان مخير أو مسير إلى غير ذلك، فأين تقف دعوى خصوم الإسلام من هذه الحقائق الثوابت يا ترى؟

(1) رؤية الله تعالى تبارك وتعالى، لابن النحاس، تح: علاء الدين رضا، ص60، 61، ط1: 1996م، دار المعراج - السعودية.

(2) سورة الشعراء، آية: (61-62).

(3) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم الظاهري، ت: د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة، ج3، ص8، دار الجيل، بيروت - لبنان.

المبحث الثاني:
"الرؤية الاستشراقية لاستخدام المنهج العقلي في قراءة النص القرآني"

لقد وقف المستشرقون من القرآن الكريم موقف الخصومة والإنكار، فقد أنكروا مصدره الرباني، وطعنوا في وحيه الإلهي، وشككوا في وثاقة نصه القدسي، وأثاروا حوله عديدا من الشبهات من خلال الترجمات المشوهة تارة، أو القراءات التي تثير التشكيك في سلامته، والتكذيب لرسوله ﷺ تارة أخرى، ومن بين تلك القراءات القرآنية التي زعموها ما تعارفوا عليه في دعوتهم إلى قراءته قراءة عقلية، وتأويله تأويلاً عبثيًّا، فعلاوة على التحرر من القواعد التي قررها أهل التفسير، ومن الضوابط التي اعتمدها أهل التأويل، نجد هذا الاتجاه العبثي، وقد جعل التأويل العقلي للنص هو "القاعدة"، وليس "الاستثناء"، فأطلقوه في كل النصوص حتى صار التأويل عندهم عبارة عن جهد عقلي ذاتي لإخضاع النص القرآني لتصورات القارئ والمفسر، ولمفاهيمه وأفكاره، إنه "قراءة ذاتية" ... وبل وغير بريئة"[1]؛ لأنه لا توجد ثمة قراءة بريئة[2]، فلا معايير ولا ضوابط ولا قواعد تحكم تفسيرات وتأويلات القراء للقرآن؛ لذلك فإنَّ دعوى الموضوعية في الجدل الاستشراقي أحادية الطرف، لم تخرج من إطار المركزية الغربية، بل هي انبثاق عنها، وصياغة جديدة لمبدأ الانتقاص القيمي من الآخر، يعتمد على المنهجيات الحديثة لقراءة النص القرآني في ضوء المعطيات الغربية (الفلسفية، والعقدية، والدينية ...)، وذلك للإسهام في طرح **إسلام جديد، وقراءة جديدة**، تسهم في تغيير الثوابت الدينية والمسلمات العقدية.

ولعل مَنْ يطَّلعُ على قراءات المستشرقين للنص القرآني في ضوء المنهج العقلي يدرك من أول وهلة، أنهم ما أرادوا إلا تحريف الكلم عن موضعه، والخروج بالآيات عن

---

(1) النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود، لمحمد عمارة، ص10، ط1: 2007م، دار نهضة مصر، القاهرة - مصر.

(2) فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، لنصر أبي زيد، ص5، 6، ط1: 1983م، دار التنوير، بيروت لبنان.

مدلولاتها، إذا لم يعتمدوا على المنهج العقلي الغربي الديكارتي[1] الذي يقضي بالتشكيك في كل المعارف والحواس، حتى يصل الباحث إلى اليقين في المعرفة[2]، لكنَّ تأثر كثيرٍ من المستشرقين بهذا المنهج، جعلهم يشككون في سلامة النصوص القرآنية، وما تحويه الآيات من قضايا غيبية لا مجال للعقل في إدراكها، إلا بالقدر الذي بينه النص القرآني أو الذي فسره الرسول ﷺ .(كقضايا الألوهية، والإيمان بوجود الله، والأنبياء ومعجزاتهم، واليوم الآخر وما فيه ـ والملائكة والجن ..).، فضلاً عن التشكيك في الآيات التي تناولت كثيرًا من الوقائع التاريخية المتعلقة بأخبار الأمم السابقة، مما لا مجال للعقل في إدراكه إلا من خلال تلك القصص، وليس للإنسان إلا أن يسلم بصدقها، وحسبنا في هذا المبحث أن نشير إلى أربع نقاط:

أولها: الاهتمامات الاستشراقية بالمنهج العقلي، وتبنيهم للقراءة العقلية.

ثانيًا: أهداف المستشرقين في استخدام المنهج العقلي لقراءة النص القرآني.

ثالثًا: نماذج تطبيقية للمنهج العقلي الاستشراقي في قراءة النص الشرعي.

رابعًا: إشكالات تطبيق المنهج العقلي الاستشراقي في قراءة النص القرآني.

وفيما يلي بيان لهذه النقاط:

أولًا: الاهتمامات الاستشراقية بالمنهج العقلي، وتبنيهم للقراءة العقلية:

إنه لا يمكن أن نتحدث عن الدعوة الاستشراقية لاستعمال المنهج العقلي الغربي في قراءة النص القرآني دون أن نلفت النظر إلى الخلفية التاريخية لقضية العقل في الفكر الغربي عند أشهر مفكري العقلانية الدينية في العالم الغربي، وهما: "ديكارت"[3]،

(1) تتكون قواعده من نقاط أربعة، وهي: (ألا أقبل شيئًا ما على أنه حق، ما لم أعرف يقينًا أنه كذلك، بمعنى أن أتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر. ألا أدخل في أحكامي إلا ما يمثل أمام عقلي في جلاء وتميز، أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء قدر المستطاع، أن أسير أفكاري بنظام بأبسط وأسهل معرفة، أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئًا). مقال عن المنهج لديكارت، ترجمة محمود الخضيري، ص190-192، ط2، 1986م، دار الكاتب العربي ـ مصر.

(2) مبادئ الفلسفة، لديكارت، ترجمة: عثمان أمين، ص18، ط1، 1999م، دار الثقافة، القاهرة ـ مصر.

(3) ديكارت: (1596-1650م): فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي، يعد في رأي كثير من الباحثين أبا الفلسفة الحديثة ومؤسسها، اُشتهر بكتابه "مقالة في المنهج"، وفيه اطّرح كل المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة شاكًّا=

و"سبينوزا"(1)، أما "ديكارت" فمنهجه العقلي قائم على الشك، بحيث يستحيل معه الوصول إلى اليقين في خضم شبهاتٍ وافتراضات تُحدق به، ولذلك قال "باسكال" : (إن ديكارت كان مستعدًا للاستغناء عن الله لولا حاجته إليه؛ لكي يعطي نقرة تحريك العالم، ولولا ذلك لما اعترف به)(2). أما "اسبينوزا" اليهودي والذي يعد من أهم الفلاسفة في تاريخ الفكر الغربي، لم تكن فلسفته العقلانية منفصلة عن سابقتها من الفلسفات العقلانية التي كان لها تأثير واضح وجلي في العصر الحديث، فكانت معظم أسس الفلسفة تعود في أصلها إلى تأثره بالفيلسوف ديكارت، فبعد أن اعترف بفشل نظريات ديكارت عن الإله، كان يرى ((أن الله لا يوجد خارج أحواله، أو مخلوقاته، ولكنه يحيا ويتحرك فيها، وألغى "العلو" عند الله، وجعل هناك هوية بينه وبين الطبيعة، وفي هذا الإجراء، جرَّد اسبنيوزا الله من كل ملامحه الشخصية كالإرادة والفهم والخيرية وحرية الاختيار، والواقع أن هذه الناحية هي سبب العراك بينه وبين لايبنتز ، إذ اعتقد لايبنتز أن اسبينوزا قد جرد الله تمامًا من الشخصية، كما فعل حقًا، ولربما كان باسكال قد بغض الألوهية عند اسبينوزا مثلما بغض ألوهية ديكارت، فمن وجهة نظر المسيحية، فإن كلا الإلهين (إله ديكارت وإله اسبينوزا)، رغم أنهما يمثلان قطبين منعزلين، إلهان ميتافيزيقيان، لهما كيان لا شخصي ولا علاقة بينهما وبين الله القابع في الكتب المقدسة أو العقل الإنساني))[3].

من ذلك نتفهم ضرورة استخدام المنهج العقلي في البيئة الغربية، فهو السبيل لكشف الخرافات والأساطير التي نسجها رجال الكهنوت حول التصور الإلهي عن

=في كل شيء إلا حقيقة واحدة، وهي أنه يشك، وقال كلمته المشهورة: "أنا أشك فإذن أنا مفكر، وأنا أفكر فإذن أنا موجود". راجع: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص196.

(1) سبينوزا: هو باروخ سبينوزا: فيلسوف ومفكر ديني هولندي، صاحب "السبنوزية"، الذي أكد على دور العقل في الأخلاق وما وراء الطبيعة، وكان من أكبر القائلين بوحدة الوجود، والمدافعين عنه، وقد اتهمه كثيرون بالإلحاد مع الشعور الديني الذي تنبض به كتاباته، من أشهر آثاره: "كتاب الأخلاق". ينظر: معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، ص233، ط، 1992م، دار العلم، بيروت.

(2) الفكر الأوربي لحديث، فرانكلين ل باومر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، ص88، ط1987م، الهيئة المصرية العامة، مصر.

[3] الفكر الأوربي الحديث: فرانكليين ل باومر: ترجمة أحمد حمدي محمود، ص91، مرجع سابق.

الكون والطبيعة وسائر الحياة الدينية، التي كانت سبباً في ظهور عديد من الفلاسفة والعقلانيين الغربيين.

لقد أراد المستشرقون تطبيق المنهج العقلي بصفة خاصة على النص القرآني لاعتقاداتهم المسبقة بأسطورية قصصه وآياته، وأحكامه وتشريعاته، وعليه فقد ارتكزت دعائم القراءة الاستشراقية الجديدة للنص القرآني على اتجاهين: (اتجاه عقلي ـ واتجاه فلسفي)، إذ عدوهما من أهم المسالك الإصلاحية للخروج من أزمات التقليد والجمود التي يمثلها التفسير بالمأثور، وسد الفجوة القائمة بين الدين والعلمانية؛ بل والضمان الأكيد لاستمرار العلمانية في البلاد الإسلامية؛ حيث صرح المستشرق الأمريكي "ويلفرد سميث"[1] بذلك قائلًا: (فإذا صنعوا ذلك ـ ولم يستجيبوا للدعوة الإسلامية التي تسير كالأعمى بلا بصيرة ـ التي لم تستطع أن تسد الفجوة بين الدين والعلمانية -إذا صنعوا ذلك واتخذوا العقل أساسًا لتفسير الدين، فإن العلمانية تستقر في بلاد العالم الإسلامي وتزول الفجوة بينها وبين الدين)[2]، ولا أدري ما هي ماهية العقل الذي يريد تحكيمه في النص القرآني، أهي المبادئ الذهنية الأولى التي اتفق عليها العقلاء؟ كمبدأ العلية وعدم التناقض؟ أم هو عقل آخر؟ أم يقصدون بالعقل مناهج البحث اليونانية ومجموعة المعارف الحاصلة منها؟

لقد أشار أحد الباحثين إلى خديعة التسليم لنتائج المنهج العقلي الاستشراقي لعدهم نتائجه حقائق ينبغي التسليم لها، فقال: (إن الأسس الفلسفية للاستشراق لم تخضع لمنهج الشك هذا، بل اتخذت كمسلمات وحقائق وهذا ينافي البحث العلمي والمنهجي)[3]، وحُق لنا في هذا المقام أن نسألهم: هل يصح لنا أن نُخْضِعَ نصوصهم الدينية المقدسة – لديهم- على محك البحث والنظر العقلي؟، فإذا رضوا بذلك، فهل يقبلون وضع العقائد

---

(1) ويلفريد سميث: (1916 – 2000م)، مستشرق كندي، حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة برنستون وتخصص في اللغات الشرقية، وعمل أستاذًا لتاريخ ومقارنة الأديان، ودَّرس في عديد من الجامعات الكندية والبريطانية، من آثاره: العقيدة والتاريخ، والإسلام الحديث في الهند، والإسلام في التاريخ الحديث. ينظر: المستشرقون، ج3، ص183، 184.

(2) الإسلام في التاريخ الحديث، ويلفرد سميث، ص 35- 43، ط الدار القومية، رقم (166)، القاهرة.

(3) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، لمصطفى المسلاتي، ص230، ط1، 1990م، دار اقرأ، طرابلس ـ ليبيا.

الدينية وطقوسهم الكهنوتية على المحك نفسه؟ أم أن عقيدتهم من الغيبيات، فلا تعرض على العقل، ومن ثَمَّ على الغربي أن يؤمن بها وهو مغمض العين؟!.

إنه من الغريب حقًا أن يدعونا هؤلاء المستشرقون لتطبيق تلك المناهج على تراثنا ومصادرنا الإسلامية، ثم هم لا يطبقونها على ميراثهم الديني والفكري؛ ليتيقنوا صدقها من كذبها، وصحيحها من سقيمها، والحق أنهم لو طبقوا هذا المنهج، لما وجدوا في تراثهم شيئًا يمكن التعويل عليه، فلم يعد أمامهم إلا التشكيك في أصولنا وثوابتنا تحت خديعة البحث النزيه والموضوعية المنهجية.

جدير بالذكر: أن المستشرقين لم يكتفوا فقط بالدعوة إلى استخدام المنهج العقلي الغربي في قراءة النص القرآني، ولكن قاموا بذلك عمليًّا من خلال ما خطته أقلامهم من كتابات تتعلق بالاتجاه الحداثي في التفسير، ومن ذلك ما نشره "هورسفيلد"[1] بعنوان: (بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره)، ثم تبعه "باليون"[2] ونشر كتابه الحديث بعنوان: (تفسير القرآن في العصر الحديث)، الذي صبَّ فيه معظم اهتمامه على دراسة التفاسير القرآنية التي ظهرت باللغة الأردية في الهند وباكستان، والتفاسير التي ظهرت في مصر في تلك الآونة[3]، كما كتب الإيطالي "ميكلانجو" كتابه: (شرح المعتزلة للقرآن)، وفيه مدح الفكر الاعتزالي، ووسمه بالعقلانية، وكذلك نشر "كلود كايو" ضمن النشرة الإنجليزية لدائرة المعارف الكونية: (القرآن في ضوء الدراسات المعاصرة)، ونشر

---

(1) إرنست هرسفيلد (1879-1948م)، مستشرق إنجليزي، من علماء الآثار الإسلامية، عُين أستاذًا للجغرافيا التاريخية في كلية الآداب والعلوم ببغداد، وعمل بالتنقيب عن الآثار الشرقية مدة كبيرة من الزمن، من أعماله: الفنون الإسلامية. ينظر: المستشرقون، العقيقي، ج2، ص444، مرجع سابق.

(2) باليون ج. مستشرق إنجليزي، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة ليدن، والأديان المقارنة، من آثاره: الإصلاح الديني في أفكار السير سيد أحمد خان: 1948، والتفسير الصوفي للإسلام في الهند: 1973؛: المستشرقون، العقيقي، ج2، 325، 326.

(3) نشر بالجون كتابه باللغة الإنجليزية عام 1968م تحت عنوان:

Modern Muslim Koran INTERPRETATION, J. M. S. Baljon, 1880-1960. First Edition 1961, printed in the Netherlands.

"جاك بيرك": (قراءة جديدة للقرآن)، ثم جاء بعده الباحث "جانس" صاحب كتاب: (التفاسير القرآنية في مصر في العصر الحديث)[1].

جدير بالذكر أن هذه الدراسات قد اتخذت معالم اتجاهين:

الاتجاه الأول: يتمثل في توجيه الطعن والقدح وإلقاء الشبهات، وذم التفسير بالمأثور، وإعلاء شأن تفاسير الفرق المنحرفة، والثناء عليها، وإعادة إحيائها، واستغلالها في تدعيم رؤيتهم الإصلاحية.

الاتجاه الثاني: يتمثل فيما يسمى: البحث عن تحديث الإسلام، أو تجديده، والتحديث هنا لا يعني قط البحث عن إسلام آخر، أو عن تغيير أصول وقواعد علم التفسير، كما يتوهم الكثيرون، ولا يعني محو هُوية المسلم أو المساس بها، وإنما يعني: أن يتبنى الباحثون الغربيون والعلماء والمفكرون المسلمون المناهج الحديثة في العلوم الإنسانية على وجه الخصوص؛ لتطبيقها على موضوعات التفسير.

ثانيًا: أهداف المستشرقين في استخدام المنهج العقلي لقراءة النص القرآني:

مع أوائل ثمانينيات القرن المنصرم، وفي ضوء البحث عن وسائل جديدة لإنعاش الحركة الاستشراقية، نادى المستشرقون بإعادة قراءة النص القرآني في ضوء المناهج الحديثة للتحرر من سلطة النص الذي تكونت في ظله ثوابت العقل الإسلامي، وروافده المعرفية، وتفكيك المعنى، وعزله عن علاقته بقائله ﷻ، وإخضاعه لفهم قارئه دون قيد علمي أو ديني، فقراءة النص عندهم مستباحة لكل قارئ، حتى ولو لم يكن له من رصيد الثقافة شيء؛ وذلك لتحقيق أهداف عدة، نذكر منها هدفين رئيسين:

- **الهدف الأول: إبطال مرجعية كتب التفسير التراثية، وإضعاف الثقة بها:**

حيث يهدف المستشرقون من خلال استخدام المنهجيات الحديثة في قراءة النص القرآني إلى إبطال مرجعية كتب التفاسير التراثية وإضعاف الثقة بها؛ لقطع الصلة بين الأمة وتراثها؛ كي تضل طريقها، ويفقد الدين معالمه، إذ ليس بعد قطع الصلة بين الأمة

---

(1) THE INTERPRETATION OF THE KORAN IN MODERN EGYPT, J. J. G. JANSEN, First Published, 1974, Edition, printed in the Netherlands

وعلمائها الأجلاء إلا أن يتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فَيضِلوا ويُضِلوا، وفي هذا الصدد قاموا بالطعن في التفسير بالمأثور؛ لتفريغ علم قراءة النص القرآني (التفسير) من قواعده؛ ليصبح كل شيء خاضعًا للتشكيك العقلي، باسم المنهجية الحديثة في قراءة النص القرآني، ويمكن تلخيص ذلك فيما قاله "نصر حامد أبو زيد" أحد أبرز وأهم الرموز العقلانية في العالم العربي، حيث يقول: ((إن الإصلاح يبدأ من نزع القداسة عن وجهه، وهو ما يؤدي في نهاية الشوط إلى طرح كل الأسئلة الممكنة بلا خوف ولا تردد ولا تواطئية تبريرية))، ثم يزيد قائلاً: ((إن ممارسة هذه الحرية في النقد تعد شرطًا ضروريًا في مشروع النهضة؛ سعيًّا لتغيير بنية العقل من حالة الإذعان والتقبل السلبي إلى حالة التساؤل وإنتاج المعرفة))[1]؛ لينتهي الأمر عند المستشرقين والعلمانيين بأنه ليس هناك عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل له كل قراءة بالمعنى التاريخي، أو العقلي، فيصبح النص نصًا مطاطًا يتشكل فيه ما يريده القارئ.

- **الهدف الثاني: معاملة القرآن بوصفه موضوعا للدراسات العقلية:**

وهي من أخطر الآفات التي عرفتها الدراسات الاستشراقية، حيث تقوم المنهجيات الغربية الحديثة على إسقاط القرآن الكريم من مستوى كلام الله تعالى إلى عالم البشرية، أو ما يعرف بأنسنة الخطاب الديني، ذلك لأن القرآن الكريم عند المستشرقين ومن تابعهم من المستغربين مادة ينظر إليها بما تنتجه الوسائل العلمية، بالاعتماد على المنهج العقلي، وما علِموا أن هذه (العقلانية ليست من العلم الحقيقي في شيء، فالعقل الذي توهموه واحدًا ليس إلا ضربًا من التحكم، تضطرب عنده أصول التداول الخاصة بلغته)[2]. وحاصل الكلام: أن معالجة القضايا لاقرآنية المتعلقة بإعادة قراءة النص القرآني التي تمتد إلى عالم الغيب وترتبط بأسباب السماء لا يمكن أن تعامل كما تعامل الجزئيات والذرات والعناصر في المختبرات الكيمائية، ثم إن كثيرًا مما يتصل بالإسلام يندُّ عن مملكة العقل المجرد، ويستعصي على التحليل المنطقي الاعتيادي المألوف، وعليه تبقى كل محاولة لقسر حقائق القرآن، من أجل إخضاعها لمقولات العقل الصِّرْف

(1) النص والسلطة والحقيقة: لنصر حامد أبي زيد، ص48، ونقد الخطاب الديني: لنصر أبي زيد، ص87، ط2، 1994م، دار سينا، مصر

(2) ينظر: فقه الفلسفة، لطه عبد الرحمن، ج1، ص174، ط2، 2000م، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان.

ومعطيات المنطق المتوارثة لا يمكن أن تقود إلا لنتائج خاطئة.

ثالثًا: تطبيقيات المستشرقين للمنهج العقلي الاستشراقي في قراءة النص الشرعي:

لقد انساق المستشرقون في اتباع المنهج العقلي الشكي، وبالغوا في إثارة الشكوك المتعلقة بالعقائد الدينية والوقائع التاريخية الثابتة، والروايات المرتبطة بتاريخ القرآن وما يتعلق بجمعه وتدوينه، مصحوبين بالرؤية المشبوهة المسبقة عن الوحي وما يتعلق به، مما دفعهم إلى عدم الوثوق في صحة النص القرآني، الأمر الذي جعلهم يسقون العديد من الشبهات حول أمانة النقل وسلامة التبليغ، لوصمه بالاضطراب والتحريف بالزيادة والنقصان، وقد وجدوا في موضوع اختلاف المصاحف الخاصة التي كانت بأي بعض الصحابة ميدانًا خصبًا لبث سمومهم بفتح أبواب الشكوك والارتياب، فهم يدركون بأن الشك في نص ما يوجب الشك في آخر، ولذلك تراهم يثيرون روايات الاختلاف ويتساهلون في نقلها من غير تحرز، أو انضباط، بل ينقلونها دون امتحان لأسانيدها، أو الالتفات إلى آراء ومواقف العلماء المسلمين منها، رغم تذرعهم باستخدام المنهجيات العلمية الصارمة.

فنجده المستشرق الإنجليزي آرثر جيفري يقول في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف، والذي يعد أقدم مخطوطة في تاريخ القرآن: (نتقدم بهذا الكتاب للقراء على أمل أن يكون أساسًا لبحث جديد في تاريخ تطور القرآن ...... قيل إن النبي -صلى الله عليه وسلم كان كل ما نزلت عليه آيات أمر بكتابتها وكان يعرض على جبريل مرة كل سنة ما كتب من الوحي في تلك السنة وعرضه عليه مرتين سنة موته .. وهذا الرأي لا يقبله المستشرقون؛ لأنه يخالف ما جاء في أحاديث أخرى)[1].

وفي إطار آخر نراه وهو يقوم بجمع الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الفردية لبعض الصحابة أمثال: "عبد الله بن مسعود"، و"أبي بن كعب"، و"علي بن أبي طالب"، و"ابن عباس"، و"أبي موسى الأشعري"، و"حفصة"، و "أنس بن مالك"، و"زيد بن ثابت" وغيرهم، ويقول: (وزعم بعض الكتبة أن المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ، ولكنا لا

---

1 المصاحف: لأبي داود السجستاني، تح: آرثر جيفري، ص5، ط1، 1936م/1355ه، المطبعة الرحمانية بمصر.

نوافق على قولهم هذا ...)[1]، وهكذا نرى الكثير من الأحكام العقلية التشكيكة المسبقة في الكثير من القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم.

(ومع أن بعضهم لا يجدون مناصًا من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترعه بعض اللغويين الذين نسبوها لهؤلاء الصحابة والتابعين، فإنهم يصفون مصحف عثمان بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل، ولا يقولون إنه الأصل الموثوق به فسه، فهم يتحاشون الاعتراف بأن القرآن الكريم قد جمُع وفق منهج علمي رصين قوامه التوثيق والدقة والتثبت)[2]، و(قد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات)[3]، ومن ضمن هؤلاء الصحابة ـ بطبيعة الحال ـ جميع الصحابة الذين حشد لهم آرثر جفري مصاحف خاصة تتضمن بعض الاختلافات، ومنهم علي بن أبي طالب الذي قال: (أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين)[4]، هذا في الوقت الذي يورد فيه السيوطي عن أبي داود رواية أخرى من طريق ابن سيرين جاء فيها، (قَالَ عَلِيٌّ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آلَيْتُ أَلَّا آخُذَ عَلَيَّ رِدَائِي إِلَّا لِصَلَاةِ جُمْعَةٍ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ. فَجَمَعَهُ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: هَذَا الْأَثَرُ ضَعِيفٌ لِانْقِطَاعِهِ وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ فَمُرَادُهُ بِجَمْعِهِ حِفْظُهُ فِي صَدْرِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْهُ أَصَحُّ فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ)[5].

أما المستشرق الأمريكي ألفورد ولش، كاتب مادة "القرآن" في دائرة المعارف الإسلامية فقد ذكر بأن ابن مسعود قد انفرد بمصحف خاص له، وخال من ذكر المعوذتين، ومن هنا فتح هذا المستشرق بابا ولجه كما ولجه غيره من المستشرقين للتشكيك في مدى تواتر السورتين، مستدلاً على قوله بنصوص منقطعة وضعيفة تصيدها من كتاب

1 المرجع السابق، ص5.

2 مناهج المستشرقين في دراسة علوم القرآن: محمود فتوح، ص35 وما بعدها، العدد 11، 12 مارس 2016م، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي ليابس، المغرب.

3 الجمع الصوتي الأول للقرآن: لبيب السعيد، ص323، ط1987م، دار المعارف، القاهرة.

4 المصاحف: لأبي داود، ص49، مرجع سابق.

5 الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل، (204/1)، ط1394م، 1974م، الهيئة المصرية العامة للكتّاب.

المصاحف وغيره من الكتب التي لم تحر الدقة والسلامة في النقل.

ولا شك أن هذا الرأي المنسوب إلى ابن عباس باطل من أساسه، ورده الكثير من العلماء، ومنهم الإمام "الباقلاني" حيث علق على ذلك في كتابه إعجاز القرآن فقال: (..ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا، وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف..)[1]، ثم بين كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر آحاد لا يسكن إليه، ولا يعول عليه.

كما كذَّب الإمام النووي هذه الرواية فقال: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئًا منها كفر، وما نُقل عن ابن مسعود ـ في الفاتحة والمعوذتين ـ باطل وليس بصحيح عنه)[2]، وينقل النووي أيضا عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية فيما لو كانت صحيحة: (ويحتمل مما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كَتب كل القرآن وكَتَب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس)[3]، ولعل أبرز دليل على أن عدم كتابة المعوذتين في مصحف ابن مسعود لا تعني عدم حفظه لهما أن الفاتحة هي بدورها ليست في مصحفه، فهل يعقل أن ينكر ابن مسعود السورة التي لا صلاة لمن يقرأ بها.

فالمستشرقون بالرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلاً بعد جيل، ولا سيما أن التاريخ لم يذكر لنا تبني أية طاقة من المسلمين لهذا الرأي الباطل المنسوب إلى ابن مسعود، فإنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر، وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم، إضافة إلى خصيصة الحفظ في الصدور التي تميز الأمة الإسلامية والتي تؤكد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله أكبر دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان.

---

1 إعجاز القرآن للباقلاني، ص262، ط1988م، عالم الكتب، بيروت – لبنان.

2 الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل، (271/1)، مرجع سابق.

3 المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم (109/6)، ط2، 1392ه، دار إحياء التراث العربي.

رابعًا: إشكالات تطبيق المنهج العقلي الاستشراقي في قراءة النص القرآني:

قبل الإشارة إلى إشكالات تطبيق المنهج العقلي الغربي، أود الإشارة إلى أن المنهج العقلي الغربي لم يكن إلا ثمرة من ثمار الصراع المرير الذي دار بين رجال الكنيسة من جهة، والعلماء والفلاسفة من جهة أخرى؛ إذ احتكرت الكنيسة لرجالها خصوصية تفسير الكتاب المقدس، وحق المعرفة وتفسير الظواهر الطبيعية دون سواهم من البشر، ومع تفاقم الطغيان الكنسي وحدته، ظهر الاتجاه العقلي ردة فعل مباشر ضد تسلط الكنيسة ورجالاتها، ففقدت الكنيسة الثقة في نفسها بوصفها المصدر الوحيد للمعرفة، وسميت تلك المرحلة التي ظهر فيها الاتجاه العقلي في تاريخ الفلسفة الأوروبية بـ(عصر التنوير)؛ حيث غلب على الفكر العقلي معاداته ومناوأته للدين، بعد الفشل الذريع الذي مُنيت به الكنيسة أمام التغيرات المفاجئة التي ظهرت على ساحة الفكر آنذاك، وكان المحور الذي قامت عليه الفلسفة العقلية، أو المثالية كما يطلق عليها، هو: (أن العقل وحده هو مصدر المعرفة اليقينية الصحيحة، وله الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة وما قبلها وما فيها من سياسة وقانون وأخلاق ودين، وأن الإنسانية هي هدف الحياة للجميع، ليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة، وكان لهذا الاتجاه أنصاره الذين نادوا بوجوب سيطرة العقل على العاطفة في سبيل فهم الظواهر الطبيعية، وأحداث الوجود على حقيقتها، فما من ظاهرة أو حادثة تعرض للإنسان إلا ويستطيع العقل الباحث المنقب تفسيرها، أو تحليلها مهما طال على بحثه أو تنقيبه الزمن)[1]، ومن هنا تتضح الإشكال الرئيسة في إعطاء العقل الغربي المساحة الواسعة والشاسعة للحكم على الدين وما يتعلق به من عقائد ونصوص وتشريعات، تنتهي في بعض الأحيان إلى نقدها ونقضها، والاستغناء عنها، وهو ما لا يمكن قبوله في التعامل مع النص القرآني، حتى ولو كان تحت الزعم بأنها رؤية إصلاحية.

وعلى كلٍ فإن هذا المنهج به العديد من الإشكالات التي تجعله غير صالح للتطبيق في علم قراءة النص القرآني، ومنها ما يلي:

---

(1) مقدمة في الفلسفة الإسلامية، لعمر محمد الشيباني، ص23، ط1، 1975م، الدار العربية للكتّاب، ليبيا.

• **الإشكال الأول:** أنهم لم يقصدوا بهذا المنهج، المنهج العقلي العلمي الذي هو مرحلة من مراحل البحث والتفكير؛ بل قصدوا تطبيق المنهج العقلي الشكي، الذي يعمل على التشكيك في كل العقائد الإلهية، والحقائق والثوابت اليقينية، والطعن في صحة التفاسير الواردة، وتقديم التفسير العقلي على صريح النصوص والأحاديث النبوية بحجة عدم التقليد، إضافة إلى التشكيك في العديد من الآيات التي تناولت (الألوهية، والوحدانية، والنبوة، والرسالة، والغيبيات، والمعجزات، وأخبار الأمم السابقة)، ومن ثَمَّ كانت النتائج التي توصلوا إليها بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي، وغير صحيحة.

• **الإشكال الثاني:** أن الجميع يتحدثون عن المنهج العقلي الغربي لكونه طريقة يتم بها علاج كل الإشكالات والقضايا العلمية والدينية والروحية، ومن ثَمَّ تعاملوا مع النص القرآني في الإطار المادي الذي وقع فيه المفكر الغربي أسيرًا له، ومن هنا ندرك لماذا يأتينا الخطاب الاستشراقي مموهًا؟ بل أحيانًا نجده لا يُعبِّر عن موقف عقلاني أصلاً؛ لأنه أصبح لا يعبر في حقيقته إلا عن مواقف أيديولوجية، تربك المفكر الغربي، وهو يبحث عن العقلانية، دون الرجوع إلى مصادره الفلسفية في البحث عن معطيات العقل الإنساني، ثم يزعم أنه يعرف كل ما يتصل بالخطاب العقلاني، ويرى أن غيره لا يعرف الحقيقة، بل يعرفها هو كاتباً ومفكراً عقلانياً.

• **الإشكال الثالث:** أن آفة المستشرقين اليوم، أنهم يسوقون مجرد الاحتمالات العقلية مساق الحقائق، - انظر النموذج الثاني - ويقيسون الماضي الذي لم يكن جزءاً من تاريخهم، بمقياس حاضرهم، مع تباين المكان والزمان والعقلية والروح، وآية ذلك أنهم يغضون أبصارهم عن الطابع الفريد الذي نشأت في ظله أحداث التفسير القرآني على عهد النبوة وما بعدها، ويرفضون مناهج المسلمين في نقد الأخبار ورواتها، وفي هذا كله تمويه وإضرار بالخطاب الفلسفي الغربي المعاصر؛ حتى توصف تلك العقلانية بأنها مرض وله عقاقير، ويمكن أن يعالج العقل بالعقاقير الغربية؛ وذلك كله يدل على مدى الوقاحة التي وصلت إليها العقلانية الغربية، لقلب القواعد المنطقية إلى فوضى مرضية تحتاج إلى علاج ودواء.

ومن خلال ما سبق: نقرر ونسلم بأنه لا إشكال لدينا في تطبيق المنهج العقلي؛ طلباً للحق وانصياعاً للعلم، وتسليمًا للأدلة والبراهين، أما الشيء الذي لا نسلم به هو أن يتحول العقل

في تأويله إلى شطط في الفكر، يصير به القارئ أستاذًا للتحليل النفساني العقلي، فيتحدث عن القرآن الكريم وكأنه (نص مريض) يتردد على عيادات المستشرقين العقلية الخاصة!!، أما باطنه -المنهج العقلي- فهو التحرر من مناهج وتصورات المفسرين، وتقديم بدائل منهجية تخدم التصورات الموضوعة مسبقًا، التي لا تختلف كثيرًا عن آراء المتعصبين والمجردين من صفة العلم والمنهجية والعقلانية، فهي عملية هدم وتشكيك من جهة، وتقديم بديل ظاهره البحث، وباطنه التخريب.

الخـاتمة:

أولاً: النتائج:

- يعد الخوض في غمار علم التفسير والتأويل، من أخطر المجالات الشرعية؛ لكونه متعلقًا بكلام الخالق ﷻ؛ لذلك عمل علماؤنا الأوائل على تقعيد القواعد ووضع المنهج والضوابط التي تساعد المفسر على عدم الانحراف أو الزلل.

- تنوعت الجهود الاستشراقية في علم التفسير لتشمل الاعتناء والتمجيد بإحياء التفاسير المنحرفة التي أنكرتها الأمة؛ لتصل جهودهم ذروتها في الدعوة إلى قراءة النص القرآني في ضوء المناهج الغربية، وخاصة المنهج العقلي الشكي.

- تقوم الرؤية الاستشراقية لإعادة قراءة النص في ضوء المنهج العقلي، على إخضاعه للتشكيك في حقائقه، وتحكيم العقل في معجزاته وغيبياته، وتحويله عن مراد الله إلى مراد القارئ والمفسر والمؤرخ.

ثانيًا: التوصيات:

- العودة إلى القرآن الكريم، قراءةً، وتدبرًا، واستنباطًا، من أجل استئناف السير الحضاري؛ لكونه المصدر المرجعي في التشريع والمعرفة والأخلاق.

- الاهتمام بإحياء مفهوم التجديد في التفسير، لتقديم الحلول العاجلة للأزمات والمشكلات التي تواجه حياتنا المعاصرة.

- العمل على كشف الخطط الاستشراقية الحديثة التي تستهدف النيل من القرآن وعلومه، وتفنيد الدعوات العلمانية الرامية إلى إخضاع النص القرآني للعقل.

المصادر والمراجع:

القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، لمحمد محمود كالو، ط1، 2009م، دار اليمان، د.م .

قضية قراءة النص القرآني، لعبد الرزّاق هرماس، دون بيانات.

لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، مصر.

مناهج البحث في العلوم الإنسانية، لمصطفى حلمي، ط1، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الحدود، لابن سينا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 1989م.

الغنية في الكلام، أبو القاسم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى حسنين عبد الهادي، دار السلام، القاهرة-مصر.

تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1384هـ/1964م.

الاستشراق، لإدوارد سعيد، ترجمة صبحي حديدي، ط1، 1996م، دار الفارس، القاهرة.

النص الإسلامي بين التّاريخية والاجتهاد والجمود، لمحمّد عمارة، ط1، 2007م، دار نهضة مصر، القاهرة.

فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، لنصر حامد أبي زيد، ط1، 1983م، دار التنوير، بيروت، لبنان.

مقال عن المنهج، لديكارت، ترجمة: محمود الخضيري، ط2، 1986م، دار الكاتب العربي، مصر.

مبادئ الفلسفة، لديكارت، ترجمة: عثمان أمين، ط1، 1999م، دار الثقافة، القاهرة.

معجم أعلام المورد، لمنير البعلبكي، 1992م، دار العلم، بيروت.

الفكر الأوربي لحديث، لفرانكيلين ل باومر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، 1987م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

الإسلام في التاريخ الحديث، ويلفرد سميث، الدار القومية، القاهرة.

الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، لمصطفى المسلاتي، ط1، 1990م، دار اقرأ، طرابلس، ليبيا.

المستشرقون، العقيقي،دار المعارف، مصر، 1964م.

النص والسلطة والحقيقة، لنصر حامد أبي زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1995م.

نقد الخطاب الديني، لنصر حامد أبي زيد، ط2، 1994م، دار سينا، مصر.

فقه الفلسفة، لطه عبد الرحمن، ط2، 2000م، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

الجمع الصوتي الأول للقرآن: للبيب السعيد، ص323، ط1987م، دار المعارف القاهرة.

الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

إعجاز القرآن، للبلاقلاني ، ط1988م، عالم الكتب، بيروت.
المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي، ط2، 1392هـ، دار إحياء التراث العربي.
مقدمة في الفلسفة الإسلامية، لعمر محمد الشيباني، ط1، 1975م، الدار العربية للكتّاب، ليبيا.
الفكر الإسلامي، مبادؤه، مناهجه، قيمه، لمحمد الصادق عفيفي، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر.
روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي، ت: محمد حامد الفقي، ط1، د.ت، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة .
مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، 1421هـ/2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
المستدرك، الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط1، 1411هـ/1990م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
التجديد في الفكر الإسلامي، لعدنان محمد أمامة، ط1، 1424هـ، دار ابن الجوزي، الرياض-السعودية.
التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، لفهد العجلان، ط1، 1433هـ، مركز التأصيل، السعودية.
الموافقات، للشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، 2003م، دار ابن عفان، دار ابن القيم، الرياض ـ السعودية.
فتح القدير، للشوكاني، ط1، 1414هـ، دار ابن كثير، دمشق.
جامع البيان في تفسير القرآن المسمى تفسير الطبري، لابن جرير الطبري، دار المعارف، القاهرة.
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، السعودية.
شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت: فيصل عون، ط1، 1998م، ط جامعة الكويت.
متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة – مصر.
رؤية الله تبارك وتعالى، لابن النحاس، ت: علاء الدين رضا، ط1: 1996م، دار المعراج، السعودية.
الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، ت: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان.

Encyclopédie de l'Islam , Meisonneuvre et Larose, (5/405) 2ème édition 1985.
Materials for the History of the Text of, Jeffery (Arthur), p. 10, 1937, Istanbul.

.Encyclopèdie de l'Islam, art ((Quran)).T 5 p: 410.